القُرْآنُ وصِناعَةُ الْخَبرِ: بَيانٌ وميزَانٌ

رئيس التحرير
د. محمد محمود مرتضى

ليسَ الإعلامُ مجرّدَ تقنياتِ بثٍّ ونشرٍ وتداولٍ للمعلومةِ، ولا مجرّدَ منصّاتٍ تصرخُ فيها الآراءُ. إنّ الإعلامَ، في جوهرِه، فعلٌ خُلُقيٌّ يُشكِّلُ الوعيَ ويهندسُ الحسَّ العامَّ، ويقرِّرُ ما إذا كانت المجتمعاتُ ستتّجهُ نحوَ الحقِّ والعدلِ والسّكينةِ، أمْ نحوَ الفتنةِ والتّناحرِ والذّعرِ. لهذا يحتلُّ الإعلامُ في التّصوّرِ القرآنيِّ منزلةً تتجاوزُ "الأداةَ" إلى "المسؤوليّة"، وتتعالى على "الحيادِ الباردِ" إلى "القولِ السّديد" المبنيِّ على الصّدقِ والبيّنةِ والعدلِ. فالكلمةُ في القرآنِ عهدٌ ومسؤوليّةٌ: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [ق:١٨]. ومنْ هنا، لا يُفهَمُ الإعلامُ القرآنيُّ بوصفِهِ مجرّدَ نقلٍ، وإنّما بوصفِهِ بلاغًا مؤسِّسًا، وتربيةً للذّائقةِ الخُلُقيّةِ، وبناءً لعقلٍ جمعيٍّ يقِظٍ.

أوّلًا: الإعلامُ بوصفِه بلاغًا مُبينًا

يعرّفُنا القرآنُ إلى مركزيّةِ «البلاغِ» في سيرورةِ الوحيِ: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ**﴾ [المائدة:٦٧]، ثمّ يحدِّدُ الغايةَ العامّةَ: ﴿**هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ**﴾ [إبراهيم:٥٢]. فالبلاغُ ليسَ مجرّدَ إيصالٍ، وإنّما هو إيصالٌ مُبينٌ يعقلُهُ الناسُ وتقومُ به الحجّةُ؛ لذلك قُرِنَ البلاغُ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ**

أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. ففي أفقٍ كهذا، يصبحُ الإعلامُ فعلاً من أفعالِ «البيانِ» الذي يكشفُ المعنى ويحرِّرُهُ من الالتباسِ، لا من أفعالِ «التكديسِ» الذي يُراكمُ الضوضاءَ. ومنْ هنا يُفهَمُ قولُ اللهِ تعالى: **﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾** [النحل: ٤٤]، فالتّبيينُ وظيفةٌ معرفيّةٌ وخُلُقيّةٌ، والإعلامُ الحقُّ امتدادٌ لها في الاجتماعِ البشريِّ.

ثانيًا: من «النّبأ» إلى «الخبرِ»

يتعاملُ القرآنُ مع المعلومةِ بوصفِها "نبأً" لهُ أثرٌ في القرار والسّلوك، وليسَ مادّةَ تسليةٍ؛ لذلك يضعُ قاعدةً ذهبيّةً تمنعُ اندفاعَ الشّائعة إلى قلبِ الجماعة: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾** [الحجرات: ٦]. فالتّبيّنُ هنا ليسَ إجراءً شكليًّا، وإنّما فضيلةٌ معرفيّةٌ تُلزمُ النّاقلَ والمتلقّي معًا. ويعزّزُ القرآنُ هذه الفضيلةَ بنهيٍ كلّيٍّ عن التبنّي غيرِ المسؤولِ للمزاعمِ: **﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا﴾** [الإسراء: ٣٦]. فبينَ التّبيّنِ وعدمِ الاتّباعِ بلا علمٍ، تتأسّسُ منهجيّةٌ قرآنيّةٌ للإعلامِ: التّحقيقُ قبلَ النّشرِ، والسّؤالُ قبلَ الجزمِ، والتمييزُ الدّقيقُ بينَ الشّهادةِ والرّأيِ، وبينَ الواقعِ والتّأويلِ.

ثالثًا: مقاصدُ الإعلامِ القرآنيِّ

لا ينظرُ القرآنُ إلى الإعلامِ بوصفه حياديًّا. إنّهُ يريدُه قولاً سديدًا يُقيمُ العدلَ ويدفعُ الفسادَ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾** [الأحزاب:٧٠]. ويقولُ أيضًا: **﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾** [المائدة: ٨]. وبهذا يصبحُ الإعلامُ مشاركةً في إقامةِ القسطِ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾** [النساء: ١٣٥]. فحيثما انقلبَ الإعلامُ إلى تحريضٍ أعمى، أو تحزّبٍ أيديولوجيٍّ يَطمرُ الحقيقةَ تحتَ كراهيةٍ مسبقةٍ، يكونُ قد خانَ مقاصدَهُ، واستحالَ أداةً لظلمٍ جديدٍ.

رابعًا: الإعلامُ بينَ الحكمةِ والذّوقِ العامِّ

على أنّ القرآنَ يطلبُ خطابًا يهدي ولا يهيّجُ، ويُقيمُ الحجّةَ ولا يستفزّ غريزةَ الانتقام: ﴿**وَقُلْ لِعِبَادِى يَقُولُوا الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا**﴾ [الإسراء: ٥٣]. حتّى حينَ يختلفُ الناسُ في العقيدةِ، ينهى اللهُ عن خطابٍ يستدعي ردودًا رعناءَ: ﴿**وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ [الأنعام: ١٠٨]. فالإعلامُ القرآنيُّ بهذا المعنى يُربيّ الذّائقةَ الخُلقيّةَ العامّةَ: يسوسُ الهوى، ويمنعُ «التّطييفَ اللّفظيَّ» الذي يفتحُ أبوابَ الفتنةِ، ويُرسّخُ بديلاً هو «القولُ الأحسنُ»، و«الحكمةُ» في الجدلِ، و«الموعظةُ الحسنةُ» في التّربيةِ.

خامسًا: قراءةٌ قرآنيّةٌ لآفاتِ الفضاءِ الإعلاميِّ

ويمُيّزُ القرآنُ بينَ البلاغِ الذي يحملُ الحقَّ، وبينَ «الإرجافِ» الذي يصنعُ الفزعَ ويقوّضُ الثقةَ. ففي المدينةِ المنوّرةِ كانَ للمنافقينَ صناعةٌ كاملةٌ للشّائعةِ، حتّى سمّاهم القرآنُ «المرجفونَ»: ﴿**لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِى الْمَدِينَةِ...**﴾ [الأحزاب: ٦٠].ويصفُ الآيةَ الانتشارَ بدقّة بليغة: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِى الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾ [النساء: ٨٣].فالإعلامُ القرآنيُّ يقدّمُ علاجًا مركّبًا: وقفَ الإذاعةِ المرتجلة، إحالةَ المسائلِ الحسّاسةِ إلى أهلِ الاختصاصِ، وتجفيفَ منابعِ الذّعرِ.

وفي حادثةِ الإفك، يرسمُ القرآنُ خريطةً دقيقةً لكيفَ تُصنَعُ «الإشاعةُ» وتُستقبَلُ: ﴿**إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ**﴾ [النور: ١٥]. ويُذكّرُ بميزانِ التوقّي: ﴿**لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ**﴾ [النور: ١٢]. ثمّ يحسمُ في تجريم «تطبيع الفضيحة»: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِى الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ...**﴾ [النور:١٩]. إنّها خُلُقيّاتٌ دقيقةٌ: لا يُسوّقُ للانحرافِ بحجّةِ «الخبرِ»، ولا يُنتهَكُ عرضُ الناسِ باسمِ «التغطيةِ»، ولا تُستثارُ الغرائزُ بحجّةِ «حرّيّةِ التّعبيرِ». فالحرّيّةُ هنا تُحرَسُ بالمسؤوليّةِ.

سادسًا: المسؤوليّةُ المعرفيّةُ والقانونُ الخُلُقيُّ للقولِ

ثمّ إنّ القرآنَ يُعيدُ المسؤوليّةَ إلى كلِّ فردٍ: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [ق: ١٨]، ويضعُ معيارَ الاتّساق بينَ القولِ والفعلِ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ**﴾ [الصف: ٢-٣]. فالإعلامُ الذي يُروِّجُ لما لا يلتزمُ به، أو يُجمِّلُ ما يعلَمُ فسادَهُ، أو يُبرِّرُ تجاوزاتٍ بدعوى «المصلحةِ»، لا يمتُّ بصِلةٍ إلى «القولِ السّديدِ» ولا إلى «الشّهادة لله». كما ينهى القرآنُ عن تحويلِ المجالِ العامِّ إلى مسرحٍ للسّخريةِ والتّنابزِ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِن قَوْمٍ ... وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ**﴾ [الحجرات: ١١]. ثمّ يضعُ سياجًا معرفيًّا حولَ الظّنِّ والتّجسّسِ والغيبةِ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضًا**﴾ [الحجرات: ١٢]. ويقرعُ ناقوسَ الخطرِ في ثقافةِ الهَمزِ واللمزِ: ﴿**وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ**﴾ [الهمزة: ١]. وهذه ليست «نصائحَ خُلقيّةً لطيفةً»، بل أركانٌ لميثاقٍ إعلاميٍّ يحفظُ الكرامةَ العامّةَ.

سابعًا: خُلُقيّاتُ التّلقي

لا يُحمِّلُ القرآنُ المسؤوليّةَ للنّاشرِ وحدَهُ، وإنّما يُربيّ المتلقّي على فقهِ التّمييزِ والانتقاءِ: ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**﴾ [الزمر: ١٨]. وهو يُثني على مَن يتجاوزُ اللّغوَ ويترفّعُ عن تسويقه: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ**﴾ [القصص:٥٥]، و﴿**وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا**﴾ [الفرقان: ٧٢].ففي زمنِ طوفانِ المنصّاتِ، لا يكونُ «الوعيُ» ترفًا وإنّما فريضة، فالعينُ والأذنُ والقلبُ أمام تكليف المسؤولية: ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً**﴾ [الإسراء: ٣٦].ومن فقهِ التّلقي كذلكَ، الرّجوعُ إلى أهلِ الخبرةِ، وتقديرُ موقعِ الاختصاصِ في تحويلِ «الخبرِ» إلى «معرفةٍ»: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل: ٤٣].بهذا تتوازنُ الأدوارُ: ينشرُ النّاقلُ على بيّنةٍ، ويتلقّى الجمهورُ على بصيرةٍ.

ثامنًا: بين «الزَّبَدِ» و«ما يَنفَعُ النَّاسَ»

يُقَدِّمُ القرآنُ استعارةً بديعةً لوصفِ حركةِ المعنى في المجتمع: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]. فالإعلامُ الذي يُراهِنُ على الإثارةِ العابرةِ والأكاذيبِ المُعلَّبةِ هو «زبَدٌ» يَحضُرُ صاخبًا ثُمَّ يَتلاشى؛ أمَّا الإعلامُ الذي يَتجَنَّدُ للحقِّ والخيرِ، ويَتَحَرَّى المصلحةَ العامَّةَ، فيَبقَى أثرُه كالماءِ النافعِ في الأرضِ. من هنا، يُفهَمُ أيضًا قولُه تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ [الصف: ٨]، فالظلامُ لا يمَلِكُ مشروعًا إيجابيًّا، إنَّما يُراهِنُ على الغُبارِ والضَّجيجِ. والإعلامُ القرآنيُّ مشروعُ نورٍ وتَبيينٍ، لا مشروعُ عَتمةٍ وتَعتيمٍ.

تاسعًا: من «الأمنِ والخوفِ» إلى سياسةِ النَّشرِ في الشأنِ العامِّ

على أنَّ القرآنَ يضعُ قاعدةً رشيدةً لإدارةِ الأخبارِ الحسَّاسة: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣]. ففي الشؤونِ الأمنيَّةِ والسياسيَّةِ والعسكريَّةِ، يُصبحُ «الإرجافُ» خيانةً، و«التسريبُ غيرُ المنضبطِ» ثَغرةً تُهَدِّدُ المجتمعَ. والحلُّ القرآنيُّ ليس كِتمانَ الحقيقةِ، بقدرِ ما هو تنظيمُ تداوُلِها: إحالةُ الأمرِ إلى مواضعِ الخبرةِ، وتحريرُ القرارِ من نَزَقِ اللحظةِ، وتجنُّبُ تحويلِ الجماهيرِ إلى وقودٍ للذُّعرِ؛ ذلك أنَّ الكلمةَ قد تَهدِمُ معنويَّاتِ أمَّةٍ أو تزرعُ الأملَ، وقد تُربِكُ قرارًا أو تمنحُه الاتِّزانَ. والمِيزانُ هنا: المصلحةُ العامَّةُ في ضوءِ الحقِّ والعدلِ، لا في ظِلالِ الأهواءِ.

عاشرًا: خطابُ الدَّعوةِ والإعلامِ القِيميِّ - بلاغٌ يرحمُ ويهدي

وحين يُحَدِّدُ القرآنُ نمطَ الخطابِ الأمثلِ، يَجعَلُ «الحكمةَ» قِوامًا، و«الموعظةَ الحسنةَ» أداةً، و«الجدالَ بالتي هي أحسنُ» أسلوبًا: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. ذلك أنَّ الغايةَ ليست كسبَ «مشاهدات» ولا انتزاعَ «تصفيق»، بل هدايةَ العقولِ والقلوبِ إلى الحقِّ. لذا، يُوازِنُ القرآنُ بين حزمِ الحقِّ ورقَّةِ البيانِ، وبين الصِّدقِ الصارمِ والقولِ الجميلِ، وبين كشفِ الباطلِ وصيانةِ كرامةِ الناسِ. فـ **﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾** [البقرة: ٨٣]، و**﴿وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾** [الأحزاب: ٧٠]، و**﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾** [التوبة: ١١٩]. فهذه ثلاثيَّةُ خطابٍ يُراعي الحقيقةَ، ويحفَظُ الإنسانَ، ويصونُ المجالَ العامَّ.

حادي عشر: ميثاقٌ عمليٌّ للإعلامِ في ضوءِ القرآنِ

تجمَعُ الآياتُ المذكورةُ معالمَ «ميثاقٍ إعلاميٍّ»، يَصلُحُ مِعيارًا للعملِ المؤسَّسيِّ والمِهنيِّ، كما يَصلُحُ دليلاً للمُواطنِ في تلقِّيه اليوميِّ:

١. التبيُّنُ قبلَ النشرِ: لا خبرَ بلا مصدرٍ واضحٍ، ولا ادِّعاءَ بلا دليلٍ: **﴿فَتَبَيَّنُوا﴾** [الحجرات: ٦]، **﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾** [الإسراء: ٣٦].

٢. الصِّدقُ والعدلُ: التزامُ القولِ السديدِ والإنصافِ حتَّى مع المخالفِ: **﴿وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾** [الأحزاب: ٧٠]، **﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾** [المائدة: ٨].

٣. صيانةُ الأعراضِ والخصوصيَّاتِ: ووقفُ تطبيعِ الفضائحِ ومنعُ إشاعةِ الفاحشةِ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ ...﴾** [النور: ١٩]، ورفضُ الغِيبةِ والتَّنابُزِ: **﴿وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾** [الحجرات: ١٢].

٤. تجفيفُ مَنابعِ الإرجافِ: تنظيمُ تداوُلِ الأخبارِ الحسَّاسةِ وإحالتُها إلى أهلِ الاستنباطِ: **﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِى الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾** [النساء: ٨٣].

٥. تهذيبُ الخطابِ: تقديمُ الأحسنِ في القولِ، والامتناعُ عن الاستفزازِ والسُّخريةِ:

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء:٥٣]، ﴿لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِن قَوْمٍ﴾ [الحجرات: ١١]، ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

٦. الرُّجوعُ إلى أهل الاختصاصِ: تقديرُ أهلِ الذِّكرِ وإشراكُ الخبرةِ في تحويلِ المعلومةِ إلى معرفةٍ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

٧. مواطنةٌ مُتلَقِّيةٌ بوعي: تركُ اللَّغوِ، وانتقاءُ الأحسنِ من الأقوال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥]، ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨].

٨. مقصدُ المنفعة العامَّة: ترجيحُ ما «يمكث في الأرضِ» وينفَعُ الناسَ على ما يَذهبُ جُفاءً: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

ثاني عشر: نحوَ ثقافةٍ قرآنيَّةٍ للإعلامِ

فالمطلوبُ اليومَ ليس «حملاتِ توعيةٍ» موسميَّةً، وإنَّما تأسيسُ ثقافةٍ دائمةٍ تَشغَلُ المدرسةَ والجامعةَ والمنبرَ والمسجدَ والبيتَ ومواقعَ العملِ. ثقافةٌ تُعلِّمُ الناشئةَ أن يسألوا قبلَ أن يُصدِّقوا، وأن يُفرِّقوا بين شاهدِ العِيانِ وناقلِ الظنِّ، وأن يذوقوا جمالَ القولِ الأحسنِ، وأن يَستنكروا ثقافةَ التشهيرِ والابتزازِ، وأن يَعتادوا ردَّ الأمورِ إلى أهلِها. هذه الثقافةُ هي مهاراتٌ ومعاييرُ: كيف نَتحقَّقُ؟ وكيف نَقرأُ الأرقامَ؟ وكيف نميِّزُ بين الخبرِ والرأيِ؟ وكيف نُقيمُ التوازنَ بين حقِّ الجمهورِ في المعرفةِ وحقِّ الأفرادِ في الكرامة؟ وكيف نُخرِجُ إعلامَنا من الارتهانِ لمَنصَّاتٍ خوارزميَّةٍ تُعيدُ تدويرَ الانفعالِ وتُضعِفُ مَلكةَ التفكُّرِ؟

إنَّ الإعلامَ في القرآنِ مدرسةُ بيانٍ وميزانٍ: بيانٌ يُجلِّي الحقيقةَ، وميزانٌ يُقوِّمُ الخطابَ على الصِّدقِ والعَدلِ والسِّترِ. وهو مشروعُ «بلاغٍ مُبينٍ» يُحرِّرُ الناسَ من فوضى الزَّبَدِ، ويُعيدُهم إلى ما يَنفَعُهم ويمكُثُ في الأرضِ. فحين نُعيدُ قراءةَ قواعدِ التبيُّنِ والقولِ السديدِ وميثاقِ العدلِ وصيانةِ الأعراضِ، لا نُحسِنُ فقط أداءَ مهنةِ الإعلامِ، وإنَّما نُصلِحُ أخلاقَ المجالِ العامِّ ونَحرُسُ السكينةَ

الجماعيَّةَ ونُحصِّنُ المجتمعَ في وجهِ ثقافةِ الإرجافِ وصناعةِ الذُّعرِ. عندئذٍ يُصبِحُ «النَّبأُ» أمانةً، و«الخبرُ» شهادةً، و«المَنصَّةُ» منبرًا للحقِّ، ويَغدو الإعلامُ ـ فعلًا ـ أحدَ وجوهِ العبادةِ الاجتماعيَّةِ التي يُبتغى بها وجهُ اللهِ. فالكلمةُ وجهٌ من وجوهِ الأمانةِ، والأمانةُ دينٌ، والدينُ ـ في قلبِه ـ بلاغٌ مُبينٌ: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

ولأهمِّيَّةِ موضوعِ الإعلامِ اليومَ في توجيهِ الرأيِ العامِّ، ولخطورةِ الكلمةِ وآثارِها على جميعِ المستوياتِ، ارتأت مجلَّةُ «تبيين» أن تتناولَ في هذا العددِ الإعلامَ ومسؤوليَّةَ الكلمةِ من منظورٍ قرآنيٍّ؛ حيثُ تناولت دراساتُ المحورِ:

الضوابطَ الخُلُقيَّةَ والمعاييرَ الشرعيَّةَ للإعلامِ، وموقفَ القرآنِ من نشرِ الأكاذيبِ والإشاعاتِ والافتراءاتِ، وكيفيَّةَ مواجهةِ التضليلِ الإعلاميِّ، ودورَ الكلمةِ الرساليَّةِ في بناءِ الإنسانِ المُنتظَرِ، مضافًا إلى الحديثِ عن الرقابةِ الذاتيَّةِ ومحدِّداتِها الخُلُقيَّةِ والسوسيولوجيَّةِ..

أمَّا بابُ الدراساتِ والبحوثِ القرآنيَّةِ، فقد خُصِّصَ لنقدٍ منهجيٍّ لنظريَّةِ (ماديغان - Madigan) عن معنى الكتابِ في القرآنِ، مضافًا إلى قراءةٍ في كتاب: «المُستَهزِؤون في القرآنِ الكريم.. من سُخريةِ الماضي إلى حربِ الرموزِ».

نَرجو أن تُسهِمَ هذه الدراساتُ والبحوثُ والمقالاتُ في الكشفِ عن الرؤيةِ القرآنيَّةِ للإعلامِ ومسؤوليَّةِ الكلمةِ، في زمنٍ انقلبَ الإعلامُ فيه إلى أداةٍ للتضليلِ ونشرِ الفِتَنِ والتحريضِ السياسيِّ والطائفيِّ، وبثِّ الكراهيةِ والفُرقةِ، بخلافِ المقاصدِ القرآنيَّةِ الحريصةِ على نشرِ قيمِ الحقِّ والعَدلِ والهدايةِ والوَحدةِ..

والله ولي التوفيق